بالمشركين ثم رجع عبد الله بعد ذلك الى الاسلام فاسلم قبل فتح مكة والنبي صلى الله عليه وسلم نازل
بمر الظهران وقال ابن عباس في قوله ومن قال سانزل مثل ما انزل الله نزلت في المستهزئين وهو جواب
لقولهم ولو نشاء لقلنا مثل هذا قال العلماء وقد دخل في حكم هذه الآية كل من افترى على الله كذبا في ذلك الزمن
وبعده لانه لا يمنع خصوص السبب عموم الحكم ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت يعني
ولو ترى يا محمد حال هؤلاء الظالمين اذا نزل بهم الموت لرأيت امرا عظيما وغمراته وشدائده وسكراته
وغمرة كل شيء معظمه واصلها الشيء الذي يغمر الاشياء فيغطيها ثم وضعت في موضع الشدائد والمكاره
والملائكة باسطوا ايديهم يعني بالعذاب يضربون وجوههم وادبارهم وقيل باسطوا ايديهم
لقبض ارواحهم اخرجوا انفسكم يعني يقولون اخرجوا انفسكم فان قلت انه لا يقدر احد على اخراج
روحه من بدنه فما فائدة هذا الكلام قلت معناه يقولون لهم اخرجوا انفسكم كرها لان المؤمن
يحب لقاء الله بخلاف الكافر وقيل معناه يقولون لهم خلصوا انفسكم من هذا العذاب ان قدرتم على
ذلك فيكون هذا القول توبيخا لهم لانهم لا يقدرون على خلاص انفسهم من ذلك العذاب في ذلك الوقت
اليوم تجزون عذاب الهون يعني الهوان بما كنتم تقولون على الله غير الحق يعني ذلك العذاب الذي
تجزونه بسبب ما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون يعني وبسبب ما
كنتم تتعظمون عن الايمان وعن القرآن ولا تصدقونه قوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى يعني وحدانا لا مال
معكم ولا زوج ولا ولد وهذا اخبار من الله عز وجل عن حال الكافر من يوم القيامة وكيف يحشرون
اليه وماذا يقول لهم في ذلك اليوم وفي قوله للكافرين ولقد جئتمونا فرادى تقريع وتوبيخ لهم لانهم
صرفوا هممهم في الدنيا الى تحصيل المال والولد والجاه وافنوا اعمارهم في عبادة الاصنام فلم يغن عنهم
كل ذلك شيئا في يوم القيامة فبقوا فرادى عن كل ما حصلوه في الدنيا كما خلقناكم اول مرة يعني
جئتمونا حفاة عراة غرلا يعني غلفا ولم يبق معهم في اول مرة لا شيء عليهم ولا معهم عن ابن
عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال ايها الناس انكم تحشرون الى الله
حفاة عراة غرلا كما بدأنا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين وعن عائشة قالت سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس حفاة عراة غرلا قالت عائشة فقلت الرجال والنساء جميعا ينظر
بعضهم الى بعض قال الامر اشد من ان يهمهم ذلك وروى الطبري بسنده عن عائشة انها قرأت قول الله عز وجل
ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة فقالت يا رسول الله واسوأتاه ان الرجال والنساء يحشرون جميعا ينظر
بعضهم الى سوأة بعض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه لا ينظر
الرجال الى النساء ولا النساء الى الرجال شغل بعضهم عن بعض وقوله تعالى وتركتم ما خولناكم
وراء ظهوركم يعني وتركتم الذي اعطيناكم وملكناكم من الاموال والاولاد والخدم والخول كل ما اعطى
الله العبد وخوله فيه من المال وراء ظهوركم يعني في الدنيا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم
انهم فيكم شركاء يعني ان المشركين زعموا انهم انما عبدوا هذه الاصنام لانها تشفع لهم عند
الله يوم القيامة لانها شركاء لله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فاذا كان يوم القيامة وبخ الله
المشركين وقرعهم بهذه الآية ثم قال تعالى لقد تقطع بينكم قرئ بنصب النون من بينكم ومعناه لقد
تقطع ما بينكم من الوصل ويكون معناه لقد تقطع الامر بينكم وقرئ برفع النون ومعناه لقد تقطع
وصلكم والبين من الاضداد يكون وصلا ويكون هجرا وضل عنكم ما كنتم تزعمون يعني وذهب وبطل ما
كنتم تكذبون في الدنيا قوله عز وجل ان الله فالق الحب والنوى لما تقدم الكلام في تقرير التوحيد
وتقرير النبوة اردفه بذكر الدلائل الدالة على كمال قدرته وعلمه وحكمته تنبيها على ان المقصود
الاعظم هو معرفة الله سبحانه وتعالى بجميع صفاته وافعاله وانه مبدع الاشياء وخالقها ومن كان كذلك
كان هو المستحق للعبادة لا هذه الاصنام التي كانوا يعبدونها وتعريف منه خطأ ما كانوا عليه من الاشراك

الذين كانوا

٣١٧

الذين كانوا عليه والمعنى ان الذي يستحق العبادة هو الله الذي فلق الحبة عن النبات والنواة عن النخلة
وفي معنى فالق قولان احدهما انه بمعنى خالق ومعنى الآية على هذا القول ان الله خالق الحب والنوى وهو قول ابن عباس في
رواية العوفي عنه وبه قال الضحاك ومقاتل ذهبوا بالفالق مذهب الفاطر وانكر الطبري هذا القول وقال لا يعرف في
كلام العرب فلق الله الشيء بمعنى خلق ونقل الازهري عن الزجاج جوازه قال وقيل الفالق الخالق وانما قيل للخلق
فلق لان اكثره عن انفلاق ومعنى هذا الكلام ان جميع الاشياء كانت قبل الوجود في العدم فلما اوجدها الله
تعالى واخرجها من العدم الى الوجود فكأنه فلقها واظهرها والقول الثاني هو قول الاكثرين ان الفلق هو الشق
ثم اختلفوا في معناه على قولين احدهما وهو مروي عن ابن عباس قال فلق الحبة عن السنبلة والنواة عن النخلة
وهو قول الحسن والسدي وابن زيد قال الزجاج يشق الحبة اليابسة والنواة اليابسة فيخرج منها ورقا اخضر
والقول الثاني وهو قول مجاهد انه الشقان اللذان في الحب والنوى والحب هو الذي ليس له نوى كالحنطة والشعير والارز
وما اشبه ذلك ومعنى قوله فالق الحب والنوى وذلك اذا وقعت الحبة او النواة في الارض الرطبة ثم مر على ذلك
قدر من الزمان اظهر الله تبارك وتعالى من تلك الحبة ورقا اخضر ثم يخرج من ذلك الورق سنبلة يكون فيها الحب ويظهر
من النواة شجرة صاعدة في الهواء وعروقا ضاربة في الارض فسبحان من اوجد جميع الاشياء بقدرته وابداعه وخلقه
وقوله تعالى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي قال ابن عباس في رواية عنه يخرج من النطفة بشرا
حيا ويخرج النطفة الميتة من الحي وهذا قول الكلبي ومقاتل قال الكلبي يخرج النسمة الحية من النطفة
الميتة ويخرج الفرخ من البيضة ويخرج النطفة الميتة والبيضة الميتة من الحي وقال ابن عباس في رواية اخرى
يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن فجعل الايمان بمنزلة الحياة والكفر بمنزلة الموت وهذا قول الحسن
وقيل معناه يخرج الطائع من العاصي والعاصي من الطائع وقال السدي يخرج النبات من الحب والحب من النبات
وهذا اختيار الطبري قال لانه عقيب قوله ان الله فالق الحب والنوى فان قلت كيف قال ومخرج الميت من الحي
بلفظ اسم الفاعل بعد قوله يخرج الحي وما السبب في عطف الاسم على الفعل قلت قوله ومخرج الميت
من الحي عطف على قوله فالق الحب والنوى وقوله يخرج الحي من الميت كالبيان والتفسير لقوله تعالى فالق الحب والنوى
لان فلق الحب والنوى اليابس واخراج النبات والشجر منه من جنس اخراج الحي من الميت لان النامي من النبات في حكم
الحيوان ذلكم الله يعني ذلكم المدبر الخالق الصانع لهذه الاشياء المحيي المميت هو الله فأنى تؤفكون يعني
فأنى تصرفون عن الحق فتعبدون غير الله الذي هو خالق الاشياء كلها وفيه دليل ايضا على صحة البعث بعد الموت
لان القادر على اخراج البدن من النطفة قادر على اخراجه من التراب للحساب قوله تعالى فالق الاصباح
اي شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل وسواده والاصباح مصدر يسمى به الصبح وقال الزجاج الاصباح
والصبح واحد وهما اول النهار فان قلت ظاهر الآية يدل على انه تعالى فلق الصبح والظلمة هو الذي تنفلق
بالصبح فما معنى ذلك قلت ذكر العلماء فيه وجوها الاول ان يكون المراد فالق ظلمة الصباح وذلك ان
الصبح صبحان الصبح الاول هو البياض المستطيل الصاعد في الافق كذنب السرحان وهو الذئب يعقبه
ظلمة خفيفة ويسمى هذا الصبح الفجر الكاذب لانه يبدو في الافق الشرقي ثم يضمحل ويذهب ثم
يطلع بعده الصبح الثاني وهو الضوء المستطير في جميع الافق الشرقي ويسمى الفجر الصادق لانه ليس بعده
ظلمة والحاصل ان يكون المعنى فالق ظلمة الصبح الاول بنور الصبح فكذلك يشق نور الصبح بضياء النهار
فيكون معنى قوله فالق الاصباح بنور النهار الوجه الثالث ان يراد فالق ظلمة الاصباح وهي الغبش
في آخر الليل الذي يليه الصبح الوجه الرابع ان يكون المعنى فالق الاصباح الذي هو عمود الفجر اذا انصدع
الفجر وانفلق ويسمى الفجر فلقا بمعنى مفلوق الوجه الخامس الفلق بمعنى الخلق يعني خالق الاصباح وعلى
هذا القول يزول الاشكال والصبح هو الضوء الذي يبدو اول النهار والمعنى انه تعالى مبدئ ضوء الصبح وخالقه
ومنوره وقوله تعالى وجاعل الليل سكنا السكن ما سكنت اليه واطمأننت به يريد ان الناس يسكنون
في الليل سكون راحة لان الله تعالى جعل لهم الليل كذلك قال ابن عباس ان كل ذي روح يسكن فيه لان الانسان